Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(5); April 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
09.03. 2019	02.04.2019	30.04.2019

Psychological dynamism of adults' victims of incest in childhood

الدينامية النفسية للراشدين ضحايا زناالمحارم في مرحلة الطفولة

وندلوس نسيمة نسيبة زواني نزيهة حيمور صونية

أستاذة محاضرة أستاذة مساعدة أخصائية نفسانية

جامعة تيزي وزو– الجزائر–

الملخص

يهدف البحث الحالي إلى إبراز السمات الإكلينيكية المميزة لشخصية الراشدين الذين تعرضوا للاعتداء الجنسي العائلي في طفولتهم مما يسمح بالكشف عن آثار الاعتداء و المعاناة النفسية لديهم. لتحقيق هذا الهدف تم إتباع المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة و تطبيق المقابلة العيادية نصف الموجهة و اختبار مينوزوتا للشخصية المتعدد الاوجه على عينة قوامها 05 حالات. بعد تحليل نتائج اختبار مينيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية، بينت النتائج أن ضحايا زنا المحارم في الطفولة لا يتميزون بدينامكية سيكولوجية خاصة بهم أي بروفيل خاص بهم إذ تم التوصل أن لكل حالة سمات إكلينيكية خاصة بها، فآثار الاعتداءات الجنسية على الدينامكية السيكولوجية تختلف حسب عوامل عديدة منها سن الضحية، بنية الشخصية، علاقة المعتدي بالضحية، مدة الاعتداء، ردود فعل المحيط الاجتماعي و وجود أو غياب السند الاجتماعي. فكل هذه العوامل قد حددت عمق آثار الاعتداءات الجنسية العائلية في سن الرشد.

الكلمات المفتاحية: زنا المحارم، الدينامية النفسية، المعاناة النفسية، الراشدين.

Abstract

The current research aims to highlight the distinctive clinical features of adults who have been sexually assaulted in their childhood, allowing the detection of the effects of psychological abuse and suffering. In order to achieve the objectives, we followed the clinical approach based on the case study and all participants were administered the Minnesota multi-faceted personality test (MMPI). The sample was composed of 05 cases. After analyzing the results of the multifaceted Minnesota Personality Test and Interviews, the results showed that the victims of incest in childhood have not a specific psychologically dynamic. The effects of sexual assault on psychological dynamics vary according to factors such as the age of the victim, the structure of the personality, the relationship of the aggressor with the victim, the duration of the assault, the reaction of the surrounding person And the presence or absence of a social bond. All of these factors have identified the depth of the effects of sexual assaults in adulthood.

Keywords: Incest, Psychological Dynamism, Psychological suffering, Adults.

المدخل:

يعتبرالاعتداء الجنسي من أبشع الجرائم التي يقوم بها المنحرفون جنسيا في حق الانسان و الطفل على وجه الخصوص، يستعمل المعتدي سلوكه الجنسي كوسيلة لفرض سيطرته و تسلطه على الضحية دون موافقتها. و تنتشر هذه الظاهرة حيث أكد تقرير اليونيسيفUNICEF عام 2014 الذي شمل بيانات 190 بلد قدر من خلاله عدد الأطفال ضحايا الاعتداء الجنسي بحوالي 120 مليون طفلة في العالم (طفلة على عشرة) تعرضت لاعتداء جنسي مهما كان نوعه، في مرحلة من مراحل حياتها، بما فيها الذكور الذين لم يسلموا من هذه الوضعية. إلا أن، حسب هذه المنظمة لا يوجد تقرير عالمي بسبب عدم وجود بيانات قابلة للمقارنة في معظم البلدان.

في الجزائر، بينت إحصائيات المديرية العامة للأمن الوطني أن1281 من الأطفال قد تعرضوا لسوء المعاملة خلال سنة 2015، من بينهم 372حالة تعرضت للاعتداء الجنسي، في حين 756 حالة هم ضحايا العنف الجسدي. من جهة أخرى، صرح مصطفى خياطي (2016)عن 6193 حالة عنف ضد الأطفال من بينهم 1695 حالة اعتداء جنسي و ذلك خلال سنة 2016.

كثيرا ما تكون هذه الاعتداءات الجنسية من طرف أشخاص يوثق بهم كالأقارب و حتى الأهل، و يطلق على هذه الأخيرة زنا المحارم وهي تحدث في جميع المجتمعات. و هي ظاهرة رافقت تطور الحضارة الانسانية رغم التعتيم و الغموض الذي يحيط بها.

أكدت معظم الدراسات أن زنا المحارم في الطفولة يسبب أذى طويل المدى و عميق الأثر. و يمس هذا الأذى البناء النفسي، الاجتماعي، العاطفي و الجنسي للضحية أي الديناميكية السيكولوجية. فلا تنتهي مضاعفات الاعتداء بانتهائه و لكن غالبا ما تمتد آثاره حتى سن الرشد. ونظرا لكل هذه المضاعفات، اهتمت العديد من الدراسات الأجنبية بالبحث عن الآثار المترتبة عن الاعتداء الجنسي على الأطفال و كذا الوالدين، سواء على المدى القصير أو المدى الطويل.

لكن تبقى الدراسات العربية و كذا الجزائرية التي اهتمت بهذا الموضوع نوعا ما قليلة، و لهذا تعد هذه الدراسة محاولة للفت الانتباه للمعاناة النفسية لدى الراشدين الذين تعرضوا في طفولتهم لزنا المحارم و بالأخص الديناميكية السيكولوجية التي تميز هؤلاء الضحايا.

–الإطار النظري الدراسة

– الاعتداء الجنسي العائلي أو زنا المحارم

يرجع ظهور كلمة inceste ذات الأصل اللاتيني Incestrum إلى سنة 1350، حسب (Bauchet، Dieu و Sorel 2012أ) نقلا عن (Ratti، 2012) و التي تعني قذر،غيرطاهر، وسخ. ويعرفه قاموس لاروس بأنه كل علاقة جنسية بين أفراد العائلة الذين يمنع القانون الزواج بينهم بسبب القرابة أو التحالف .

عرفه (توماس، 2004) على أنه إجبار الطفل أو المراهق على أي نشاط جنسي مهما كان نوعه من طرف أب، أم، جد أو أي فرد من أفراد العائلة أو كل شخص يلعب دور مربي.

يعد زنا المحارم من أكبر الطابوهات فهو ظاهرة مسكوت عليها، و قد يعود هذا الصمت لعدم رغبة المجتمع في مواجهتها أو حتى الإعتراف بوجودها رغم وجودها في جميع المجتمعات و حتى البدائية منها. يعد إختراق و تجاوز للمحرمات و للقوانين، كما له مكانة خاصة، فهو لا يشكل فقط تهديد على الضحية

و أسرتها بل على أسس المجتمع بأسره و لهذا يوصف اعتداء بامتياز. ففي زنا المحارم تتداخل الجوانب الفردية، العائلية و كذا الإجتماعية.

تعتبر هذه الظاهرة مشكلة مستترة لأنها تتم داخل العائلة و المعتدي غالبا ما يكون مسؤول عن حماية الضحية و رعايتها. فالضحايا يبدون الكثير من التردد و التحفظ للإبلاغ عن المعتدي لحمايته من الملاحقة القضائية أوتخوفا من الفضيحة و العار. و كون معظم الضحايا أطفالا صغارا و معتمدين على ذويهم معنويا أو لشعورهم بالذنب و الخوف، فهم يعتقدون أن هذه الاعتداءات التي يتعرضون لها هي حق من حقوق الأب، الأخ، العم أو الخال.

أنواع زنا المحارم

يظهر زنا المحارم على عدة أشكال، إلا أن الدراسات بينت أن زنا المحارم بين الأب و ابنته، بين الأم و ابنها وبين الأخ و أخته من أكثر الأشكال شيوعا.

– **زنا المحارم بين الأب و ابنته** :يعتبر من أكثر الأنواع شيوعا بحيث75 إلى 90 من الحالات تكون بين الأب و ابنته، و يتراوح سن الآباء ما بين30إلى55 سنة بينمايتراوح سن البنت أثناء الاعتداء الأول بين5إلى14 سنة، وعادة ما يعتدي الأباء على البنت الكبرى، ثم ينتقل الى الأصغر منها. في البداية، يأخذ الاعتداء طابع حب عادي الى أن يتحول إلى نشاطات جنسية وإشباع رغباته الجنسية.

و صنف الأب حسب Weinberg إلى ثلاث أنواع من الآباء المعتدين:

– الأب الذي يركز نشاطاته الجنسية و الاجتماعية داخل النظام الأسري.

– الأب مشتهي الأطفال والذي يختار ابنته كموضوع جنسي سهل البلوغ.

– الأب من النمط الاختلاطي الذي يبحث عن أي موضوع لاشباع رغباته الجنسية.

بينما صنف باحثون آخرون الآباء المعتدين إلى صنفين هما: الأب المسيطر و هو الأكثر شيوعا، لا يكون راض على حياته الجنسية مع زوجته التي لا تلبي رغباته الجنسية، فيعتدي على ابنته مستعملا معها أساليب الابتزاز، التهديد، و العنف. و في بعض الأحيان يلجأ إلى أسلوب الإغراء من خلال تقديم هدايا.

أما الصنف الثاني، فيتعلق الأمر بالأب الخاضع، رغم قلة شيوعه. يتمثل في أب ليس له الحكم في أسرته، فيقوم بإستغلال ابنته جنسيا لإشباع رغباته و جعلها حليفة ضد الزوجة المسيطرة عليه.

الدينامكية السيكولوجية لضحايا زنا المحارم

نقلا عن (Damant، 1993) حتى أوائل السبعينيات، استمر بعض الباحثين (Bender و Balu، 1937؛ Sloane و Karpinski ، 1942؛ Bender و Grugett، 1952 ؛ Lukianowicz، 1972) في التظاهر أن زنا المحارم والاعتداء الجنسي لا يمكن أن يكون له آثار ضارة على الضحية. إبتداءامن 1970، أقر الباحثون بوجود عواقب للإعتداء الجنسي وتسآلوا عن نوع الآثار التي تتركها .

وجدت عدة دراسات، بما في ذلك دراسات (Bagley وRamsey، 1986 ؛ Peters ، 1984 ؛ Russell ، 1984) أن لضحايا الاعتداء الجنسي آثار دائمة بدرجات متفاوتة.

و قد تم تجميع المشكلات التي تعيشها الضحايا تحت جوانب مختلفة: عاطفية، معرفية، جسدية، سلوكية و شخصية. و قد وصف (Finkelhor وBrowne، 1985) أربعة ديناميكيات صدمية خاصة بالإعتداءات الجنسية و التي من خلالها تم تصنيف مختلف العواقب. حسب هذان الباحثان تعتبر الدينامية الصدمية تجربة تعمل على تغيير الإدراك المعرفي أو العاطفي للعالم و الذي يسبب صدمة تعمل على تشويه مفهوم الذات لدى الطفل، رؤيته للعالم و كفاءاته العاطفية.

فيما يتعلق بالاعتداء الجنسي، هناك أربعة ديناميات صدمية: الجنسية الصادمة la sexualisation traumatisante ، الوصمla stigmatisation ، الخيانةla trahison والعجزl'impuissance .

إنطلاقا من هذه الديناميات الأربعة يمكن تحديد سيرورة الاعتداءات الجنسية لدى كل من الأطفال و الكبار و تحديد عواقبها، مع العلم أنه يوجد إختلاف بين كل إعتداء جنسي إذ يمكن إيجاد سيطرة أو

هيمنة لديناميكية خاصة. و تضاف لكل هذه الديناميات مجموعة من ردود الأفعال المباشرة و طويلة المدى على مستوى الأثر النفسي والمظاهر السلوكية.

عرف الباحثون الجنسية الصادمة كسيرورة التي من خلالها يتم تشكيل جنسية الطفل بشكل غير مناسب في تطورها وبطريقة غير وظيفية في العلاقات بين الأشخاص. بعبارة أخرى، يشارك الطفل في أنشطة جنسية غير متطابقة مع مرحلة تطوره. كما أن للجنسية الصادمة مضاعفات في مرحلة الرشد، إذ أكد بعض الباحثين (Becker و آخرون ، 1984 ؛ Briere و Runtz، 1987 ؛ Gorcey و آخرون ، 1986) أن بعض الضحايا يخافون من الجنس، بينما بين البعض الآخر(Bagley و MacDonald، 1984؛ Jehu، 1989؛ Herman و آخرون، 1986 ؛ Russell، 1986) أن الضحايا يطورون الشعور بالاشمئزاز، النفور أو القلق و حتى الشعور بالذنب إتجاه هذا الموضوع. ونتيجة لذلك، تشعر النساء اللواتي تعرضن للإساءة في مرحلة الطفولة بنقص الرغبة و يظهرن إختلالات على مستوى الرغبة والإثارة (Becker و آخرون ، 1984؛ Tsai، 1979).

من جهة أخرى، تتبنى بعض الضحايا سلوكات مختلطة فوضوية Comportement de promiscuité، إذ غالباً ما يغيرون الشركاء في ممارسة الجنس (Tsai، 1979) أو أنهم يعيشون جنسية قهرية (Courtois، 1979؛ Herman، 1981؛ Meiselman ، 1978) تصل إلى ممارسة البغاء (Earls و David ، 1990؛ James و Mayerling، 1979 ؛ Silbert و Pines ، 1981).

أما الوصمة Une stigmate فيقصد بها ندبة أوعلامة يتركها الجرح. وبالتالي، تعد الوصمة النفسية ندبة لجرح ترك على المستوى العاطفي. وعليه فإن الوصمة هي الميكانيزم الذي ينقل الرسائل السلبية إلى الطفل بشأنه، مؤدية بالتالي إلى تعديل صورة الذات . تتم هذه السيرورة بطرق مختلفة، أولاً، يمكن للمعتدي وفي بعض الأحيان محيط الضحية إلقاء اللوم على الضحية وتشويه سمعتها واعتبارها ملكية مؤذية. كما يمارس المعتدي ضغوطا لفرض الصمت على الطفل، هذا الصمت المؤدي إلى مشاعر الذنب والعار.

في الواقع، يشعر الطفل الذي يلجأ إلى الصمت لحماية نفسه من رد فعل المحيط و حماية المعتدي أو لحماية نفسه منه، بالإرتباط تجاهه. ويترتب على ذلك شعور الضحية بالمسؤولية عن التعدي وبالتالي تطوير مشاعر العار والذنب على بخصوص الأنشطة المسيئة.

يمكن أن تؤدي ردود فعل المحيط أيضا إلى إحداث مشاعر العار و بالذنب، خاصة و أن الطفل يميل إلى الاعتقاد بأن الشخص البالغ – خاصة الوالد– دائمًا ما يكون على حق. و عندما يتم الكشف عن

الإساءة، قد يحمل المحيط مسؤولية الأحداث. يؤدي عدم تصديق الأقارب أو إتهام الطفل بإثارة المعتدي إلى تفاقم مشاعر المسؤولية و الذنب للضحية. كما يمكن أن تزيد المعرفة بالطابوهات الإجتماعية عن زنا المحارم من الشعور بالذنب، فالعلم بأن الأحداث التي تعيشها ممنوعة إجتماعياً، تشعر الضحية بأنها مذنبة أكثر فأكثر

يترتب عن الوصمة عواقب عديدة. تؤدي هذه الرسائل على شعور الطفل بالسوء، الخجل والذنب. فالضحية التي تحكم على نفسها تلجأ إلى العزلة عن أقرانها، و حتى العائلات ، فالاعتداء الجنسي غالباً ما يقع حسب(Finkelhor ، 1979) معزولة اجتماعياً، وبالتالي ، يزيد الإعتداء من عزلة الطفل . كما يمكن للضحية أن تشترك مع الأقران المهمشين من خلال تبني سلوكات مضادة للمجتمع و إنحرافية. و توصل (De Young، 1982) أيضا إلى إنخفاض تقدير الذات لدى الضحايا الصغار الذين قد يلجأون أيضا إلى سلوكات انتحارية .

و يترتب عن الإعتداءات الجنسية في مرحلة الطفولة عواقب طويلة المدى، إذ توصلت الدراسات التي أجريت سواء على عينة إكلنيكية و غير إكلنيكية (Bagley و Ramsey، 1985؛ Briere، 1984؛ Courtois، 1979؛ Herman، 1981؛ Russel ، 1986) إلى تقدير الذات المنخفض. و تكون هذه العواقب مدمرة، سواء على نمو الشخص أوعلى قدراته الشخصية وبين – الشخصية. كما تسبب مشاعر بالذنب حسب (Hoagwood، 1990) شعور الضحية بالمسئولية تجاه الإعتداء أي المسؤولية الذاتية Auto– responsabilisation .

من جهة ثانية، تساهم الوصمة أيضا على المدى الطويل في حدوث مشاعر إكتئابية الناتجة عن مشاعر العار و الذنب . إذ توصلت الدراسات التي أجريت على عينة إكلينيكية (Finn، Hartman و Leon، 1987؛ Herman، 1981؛ Meiselman، 1978؛ Santiago ، Gorcey و McCall-Perez ، 1986 ؛ Wheeler و Walton، 1987) و غير إكلينيكية (Bagley و Ramsey، 1985؛Sedney و Brooks ، 1984) أن ضحايا الإعتداء الجنسي يعانون من الإكتئاب، و في بعض الحالات، يؤدي هذا الميل إلى سلوكات إنتحارية.

أما عن الدينامية الثالثة فتتمثل حسب (Finkelhor و Browne ، 1985) في الخيانة التي تعتبر السيرورة التي من خلالها يسبب الشخص الذي تعتمد عليه الضحية الضرر. يدرك الطفل في وقت الإعتداء أن الشخص

الذي وثق به خانه ولم يحترم احتياجاته، كما يدرك لاحقًا أنه تعرض للخيانة بالكذب عليه. كلما كانت علاقة الطفل بالمعتدي علاقة ثقة، كلما يسبب الحدث صدمة أكثر.

كما يعاش الشعور بالخيانة أيضا مع أفراد الأسرة الذين لم يستطيعوا منع الإعتداء، و عدم تصديق الطفل أو الذين لم يظهروا له كيفية حماية نفسه، كغياب الأم (غياب حقيقي، عاطفي أو عدم القدرة على حماية ابنتها). و تعد مواقف مؤسسات حماية الأطفال أيضا مركزية، لتجتمع كل هذه الإستجابات لإحداث الشعور بالخيانة وفقدان لشخصية مهمة.

ويمكن أن تعني كلمة "فقدان" وفاة أحد الوالدين، فراق لفترات طويلة، و يقصد بها أيضا فقدان أحد الوالدين على مستوى العلاقة. و يمكن تفسير الحزن والعناصر الاكتئابية لدى الضحايا من خلال رد فعل الطفل للفقدان و من خلال خيانة شخصية هامة. و من أجل استعادة الثقة والأمان المفقودين يعمل الطفل حسب(Finkelhor، 1986) في بعض الأحيان على إظهار سلوكات مفرطة في الاعتماد. علاوةعلى ذلك، قد تطور الضحية كرد على الخيانة، سلوكات العداء، الغضب والعزلة. عندما يبلغون سن الرشد، يظهر الضحايا مشاعر العزلة وكذلك مشاكل علائقية، و حتى مشاكل زوجية. كما أكد (Meiselman، 1978) أن الضحية تستمر معايشة المعاناة من المشاعر السلبية تجاه أمها، التحدث عن المشاعر السلبية عن المسيء، في حين أوضحت دراسات (Briere، 1984 ؛ Gorcey، Santiago و McCall-Perez، 1986 ؛ Herman ، 1978) التي أجريت على عينة غير إكلنيكية أن الضحايا يعيشون مشاعر الخوف، الغضب أو عدم الثقة تجاه الرجال. من جهته، توصل(Goodwin، McCarthy و DiVasto، 1981) إلى وجود علاقة بين وقوع ضحية الإعتداء في مرحلة الطفولة والعيش مع رجل يسيء إلى أطفاله. وربطت العديد من البحوث (Bagley و MacDonald، 1984؛ Briere، 1984؛Gorceyو آخرون ، 1986؛ Hartman، Finn و Leon، 1987؛ Jehu، 1989) الاعتداءات الجنسية بإعادة وقوع ضحية لاحقا .

تتمثل الدينامية الرابعة في الشعور بالعجز الذي يعتبر نتيجة للسيرورة التي يتم من خلالها التعدي على إرادة، الرغبات و الشعور بالكفاءة. و يعد الشعور بأن الفضاء الجسدي قد تم غزوه بطريقة متكررة بدون موافقة الضحية مركزي في الإعتداءات الجنسية، و يزيد الشعور بالعجز عندما يحاول الطفل مواجهة التعدي دون نجاح.

و تؤدي تجارب الإعتداء التي تنطوي على العنف الجسدي أو تهديدات بالعنف إلى الشعور الحاد بالعجز و عليه، يختبر الطفل الخوف من التعرض للأذى أو القتل في حالة الرفض من المشاركة في الإعتداء، فالضحية هنا لا تشعر فقط بالخيانة، ولكن أيضا الشعور أن حياته في خطر.

و يمكن للأحداث التي تتبع الإعلان عن الإعتداء أيضا أن تساعد على تفاقم الشعور بالعجز، عندما لا تراعي الإستجابات المباشرة لمحيط الضحية، الشرطة والخدمات الاجتماعية احتياجاته. و أوضحت دراسات (Alter-Reid، 1986؛ Van Buskirk، 1983؛ Vander Mey، 1982) إرتباط الشعور بالعجز في سن الرشد بمشاكل نفسية، إضطرابات الأكل، التوظيف، و الجنوح. كما تميل الضحية في سن الرشد إلى إعادة معايشة وقوع ضحية. و يعاني الضحايا الذين عاشوا الكثير من العجز خلال الإعتداء أيضا من أعراض كالخوف، مشاكل التجنب و التفكك (Briere، 1989؛ Courtois، 1989؛ Edwards و Donaldson ، 1989).

و نقلا عن دراسة(Ewering، Morosini، Cuttelod و Roman ، 2013) أكدت البيانات التي تم جمعها من 703 ملف لأشخاص تعرضوا للإعتداء الجنسي أن معظم الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات (81٪) انتظروا سن الرشد للإعلان عن الإعتداء الذي تعرضوا له، وكشف تحليل المقابلات عن رفض السلبية وميل للعمل. ووفقا لعدد من الباحثين (Briere وآخرون، 1988؛Dimock، 1988؛ Dorais ، 1997؛ Fances و آخرون ، 2006؛Lisak، 1995؛ Scott ، 1992) تعد التنشئة الاجتماعية الذكورية جانب أساسي لتفسير الصعوبة التي يعاني منها الرجال للتعرف على الإعتداء المعاش و إعطاءهم معنى والتعبير عن مشاعرهم تجاههم.

و وفقا للمعايير الاجتماعية حسب (Welzer- Lang، 2002)، ينبغي أن يكون الرجل غير قابل للتأثر، رزين/متحمل stoïque إنفعاليا، قوي ونشط، بعكس الخصائص المنسوبة إلى النساء التي يفترض أن تكون ضعيفة، سلبية و غير مستقلة. إلا أن، تجربة التأثرية و الخوف المعاش في الإعتداء يتعارض مع نظام تمثيل أو تصور الرجولة ويلزمان الذكر على وضع أنثوي. يمكن أن تعرقل وضعية السلبية إحتمال لعبة الإزدواجية الجنسية النفسية وتؤدي إلى رفض وضعية الأنثوية–السلبية. يعني رفض السلبية، بطريقة ما، رفض وضعية الضحية. الاعتراف بكونه ضحية يعني الإقرار بأثر الآخر على الذات، الإقرار بأنه تم تعديله بشكل سلبي من قبل الآخر. من ثم، غالبًا ما يشعر الشخص المعتدى عليه أنه شارك في الاعتداء الجنسي بشكل نشط، مما يؤدي إلى الشعور بالذنب أو العار وصعوبة الشعور كونه ضحية وطلب المساعدة.

ومن خلال قناعتهم بأنهم كانوا سببا في حدوث الإعتداء أو المساهمة في ذلك، يدفع الضحية لتحمل المسؤولية. وبقيامها بذلك، فإنها تحمي بشكل غير واعي المعتدي و نفسها، وتمتنع عن الاعتراف بالوضعية السلبية للضحية ورفض الاعتراف بعلامات المرتكب على الذات. و يمكن أن تؤدي القناعة بالمشاركة النشطة في الاعتداء حسب ما جاء به(Chabert، 2003) إلى عكس النشاط على الشخص نفسه، مما يثير الأفكار والسلوكات المدمرة للذات كنوع من العقاب.

و تحتل مسألة الهوية الجنسية كذلك مكانا خاصا لدى الرجال الذين تعرضوا للإيذاء الجنسي في مرحلة الطفولة، حيث أشارت النتائج الإحصائية أن أكثر من 80 ٪ من الرجال تم الاعتداء عليهم جنسيا من قبل رجل، و منه بروز إشكالية التعامل مع التجربة المثلية المفروضة.

و إهتمت عدة دراسات المشار إليها في دراسة(Gaudet، 2007) بالبحث عن العواقب الطويلة المدى للإعتداء الجنسي في مرحلة الطفولة والمراهقة. و لم تهتم إلا دراسات قليلة حول ما إذا كان هناك إختلاف للعواقب على الضحايا حسب درجة القرابة مع الضحية (من قبل أحد أفراد العائلة أو خارجها). أجريت الدراسة على عينة تتكون من 15 نساء كن ضحايا الاعتداءات الجنسية في طفولتهن / المراهقة. من بين المشاركات، كان بعضهن ضحايا الاعتداء الجنسي داخل الأسرة من قبل الأب / زوج الأم (ن = 6)، من قبل شقيقهن (ن = 4) وأخريات كن ضحايا الاعتداء الجنسي من قبل أفراد خارج أسرهن (ن = 5). توصلت نتائج الدراسة إلى وجود أربعة إضطرابات لدى غالبية الضحايا بغض النظر عن المعتدي. تعلق الأمر بالشخصية الإكتئابية، الشخصية الانهزامية، القلق والاكتئاب. و وفقا للاتجاهات المقترحة من النتائج، يمكن أن تبرز لدى النساء ضحايا الاعتداءات الجنسية التي يرتكبها أشخاص خارج الأسرة سمات شخصية سلبية – عدوانية و شخصية حدية أكثر وضوحا و أقل نرجسية مقارنة بالنساء ضحايا الاعتداء الجنسي من قبل أفراد الأسرة. كما توصلت النتائج إلى وجود عدة إضطرابات حصريا لدى معظم الحالات متمثلة في الشخصيات التجنبية، الإتكالية، السلبية–العدوانية، الحدية، الجسدية، الإدمان المخدرات، اضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب الشديد.

الإجراءات الميدانية للدراسة

يتناول هذا الجزء من الدراسة الإجراءات المنهجية التي تم إتباعها لتحديد العينة و خصائصها و الأدوات المطبقة .

منهج الدراسة

إقتضت طبيعة الدراسة الحالية اختيار المنهج الوصفي الكيفي، التي تتخذ شكل دراسة حالة عيادية. تعرف دراسة الحالة على أنها ملاحظة معمقة و ممتدة للفرد، بهدف الدراسة الشاملة للخصائص المرتبطة بظروفه و علاقاته. تسمح دراسة الحالة بوصف الظواهر العادية، غير العادية، النمطية، المتواترة، النادرة، وضع الفرضيات على شخصية الفرد و البحث عن الأسباب أو علاج الاضطرابات النفسية. يرتكز هذا التقدير الكيفي أيضا على تحليل المحتوى الذي يعرف حسب (فرانسوا ديلتو، 2011) على أنه « منهج تصنيف أو تقنين عناصر الوثيقة المحلّلة في مختلف الفئات أو الأصناف لاستخراج عدد من الخصائص بهدف الفهم الجيد للمعنى الأصح و الأدق».إ ذن تحليل المحتوى هو تقنية الترميز أو التصنيف الهادف إلى استكشاف الطريقة الدقيقة و الصارمة لدلالة الرسالة.

عينة الدراسة

وفقا لطبيعة الدراسة والمنهج المستعمل اعتمدت الدراسة على الطريقة القصدية في اختيار الحالات، لذلك فهي تعتبر مجموعة مقيدة، تم إختيارها وفق لبعض المعايير منها:

- أن تكون الحالة راشدة.

- أن تكون قد تعرضت للاعتداء الجنسي في طفولتها، مع العلم أن متغير جنس الضحية لم يؤخذ بعين الاعتبار.

- أن يكون المعتدي من الأقارب الذي حرم الدين الزواج فيما بينهم.

اعتمدت مشاركة الحالات في هذه الدراسة على موافقتهن الحرة و الواضحة، حيث تم إعلامهن مسبقا بموضوع البحث، ظروف إجراء الدراسة و قواعد السرّية فيما يخص المعلومات الشخصية.

حجم العينة

تكونت عينة الدراسةمن 05 حالات تتراوح أعمارهن ما بين 22 و 45سنة،و الجدول الآتي يوضح خصائص عينة الدراسة.

جدول رقم(01) : *خصائص عينة الدراسة*

الحالات	السن	الحالة المدنية	المستوى الدراسي	المعتدي	سن الاعتداء	مدةالاعتداء
01	31	متزوجة	الثاني ثانوي	الأب و الأخ	من6 الى23	17
02	22	عازب	جامعي	الأب	من5 الى11	6
03	28	عازبة	السادسة ابتدائي	الأب	من5 الى12	7
04	29	عازبة	الأولى متوسط	الأب	من6 الى12	6
05	45	متزوجة	الثالثة متوسط	الأب	من7 الى14	7

أدوات الدراسة

تمثلت الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة فيما يلي:

المقابلة العيادية نصف الموجهة

تعد المقابلة العيادية الجهاز القاعدي في علم النفس العيادي فهي وسيلة تشخيصية، و في نفس الوقت، وسيلة علاج و مساندة. كما تسمح بالوصول إلى تصورات الحالة لإنفعالاتها و لمعاشها.

ويعرفها (جرافيتس، 1990) على أنها أسلوب استقصائي علمي، يستعمل سيرورة من الاتصال اللفظي، لجمع معلومات، لها علاقة بالهدف المنشود .

بينما تعرف (شيلاند، 1999) المقابلة نصف الموجهة على أنها مقابلة تقع بين شخصين، أين يكون دور المختص النفسي الاستماع إلى المفحوص الذي يعبر بكل ارتياح و طلاقة مع التدخل في بعض الأحيان لغرض توجيهه المفحوص فيما يخدم المقابلة.

اختبار الشخصية المتعدد الأوجه

Minnesota Multiphasic Personality Inventory (MMPI2)

تم الإعتماد في هذه الدراسة على الصورة المراجعة لاختبار الشخصية منيسوتا المتعدد الأوجه الذي نشر عام (1989) والذي كيف و قنن في دراسات عديدة. فهو أحد الاستبيانات للتقرير الذاتي و الذي تتمثل الصورة المبكرة منه في صفحة البيانات الشخصية التي أعدها وودورث في الحرب العالمية الأولى لتشخيص الأفراد الذين لا يصلحون للخدمة الوطنية نظرا لعصبيتهم. وذلك بالاجابة عن عدد من الأسئلة التي تتناول الأعراض العصابية الشائعة. وحاول كل من ستراك هاثوايو شارلي ماكنلي إعداد اختبارهما المعروف باختبار منيسوتا للشخصية المتعدد الأوجه على أساس امبريقي.

يشمل الاختبار في نسخته الثانية على 567 عبارة تتناول جوانب واسعة و مختلفة للشخصية، مثل الصحة العامة والنواحي الصحية الخاصة بما فيها أجهزة الجسم المختلفة، العادات،العائلة، المهنة، الاتجاهات الجنسية و الاجتماعية و الدينية و السياسيةو النزاعات السادية و المازوشية، الهواجس و الهلاوس، المخاوف المرضية، الحالات الانفعالية المختلفة كالاكتئاب و الوساوس القهرية.

يسمح الاختبار بإعطاء صورة متكاملة لجوانب متعددة للشخصية فهو أداة للتقويم الاكلينيكي تحتوي على أربعة مقاييس صدق وهي: عدم الاجابة يرمز لها ب ؟ L، الكذب يرمز له ب، F الأجوبة النادرة.

و لدينا كذلك عشرة مقاييس إكلينكية تتمثل في مقياس الهيستريا، الاكتئابK و التصحيح الذي يرمز لها ، Pa و مقياس البرانويا، Mf مقياس الذكورة و الأنوثة Pd الانحراف السيكوباتيHY وتوهم المرضD. أخيرا مقياس الانطواء الاجتماعي Ma، مقياس الهوس الخفيفSc ، مقياس الفصام Pt و مقياس السيكاستينيا.

عرض و تحليل النتائج

بعد تحليل نتائج اختبار مينيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية لكل حالة على حدى إتضح أن ضحايا زنا المحارم في الطفولة لا يتميزون بديناميكية سيكولوجية خاصة بهم أي بروفيل خاص بهم فنجد لكل حالة سمات إكلينيكية خاصة بها، فآثار الاعتداءات الجنسية على الديناميكية السيكولوجية إختلفت حسب عوامل عديدة منها: سن الضحية، بنية الشخصية، علاقة المعتدي بالضحية، مدة الاعتداء، ردود فعل المحيط الاجتماعي و وجود أو غياب السند الاجتماعي. حددت كل هذه العوامل عمق آثار الاعتداءات الجنسية العائلية في سن الرشد.

تم تسجيل من خلال تطبيق الاختبار على الحالات أن للحالة الأولى بعض السمات الذهانية من بينها سمة البرانويا، الفصام و فرط الميزاج حيث تعدت العلامات المعيارية 65 ، بينما وجدت ثلاث سمات عصابية بارزة لدى الحالة الثانية وهي الهيستريا، الاكتئاب و توهم المرض على الترتيب.

بينما وجدت لدى الحالة الثالثة و الرابعة و حتى الخامسة سمات بينية تتمثل في الانحراف السيكوباتي، الذي كان ظاهرا من خلال سلوكاتهم كممارسة الدعارة و الادمان و كذا الاندفاعية في سلوكاتهم كمحاولات الانتحار و العنف. وهتتسق هذه النتائج مع ما أسفرت به نتائج دراسة (Barbara، 1993) على 416 طفل تعرضوا لزنا المحارم وتم متابعتهم حتى سن الرشد، إذ سجلت ارتفاع في معدل انتشار الشخصية الحدية بينهم ومن أهم سماتهم الإندفاعية، المرور للفعل، السلوكات الانتحارية، سلوكات مضادة للمجتمع و الادمان.

ولد التعرض لزنا المحارم أيضا مشاعر الغضب و الرغبة في الانتقام اتجاه المعتدي، و هذا يحدث عندما تجبر الضحية على الفعل دون أن يكون لديها القدرة على الاختيار أو المقاومة أو الرفض. وقد تعمم هذه المشاعر على كل أفراد جنس المعتدي وتفشل الضحية في علاقاتها مع الزوج أو الزوجة و تنفر من العلاقات الجنسية فتصاب بالبرود الجنسي كما تم إيجاده عند الحالة الخامسة، و تحاول تجاوزها بالانغماس في العلاقات الجنسية المتعددة كما وجد عند الحالة الثالثة و الرابعة و هذا قد كون نوع من السيطرة على الرجل أو كطريقة لعقاب الذات.

و حسب(دامون،1993) عندما يصطدم الطفل في جنسيته من جراء الاعتداء الجنسي فسوف تكون هناك مضاعفات على علاقاته الجنسية في سن الرشد كالخوف، الاشمئزاز و النفور (Gorcey و آخرون ، 1987؛ Brière و Runtz، 1986) الشعور بالذنب والقلق.

كما تم تسجيل عند الحالات سمات عصابية منها الانطواء الاجتماعي و كذا توهم المرض، خاصة سمة الاكتئاب التي كانت بارزة لدى ثلاث حالات من بين خمسة.

لوحظ عند الحالات كذلك، الحزن، الإنشغال و الإنعزال. ضف إلى ذلك، أعراض غير واضحة تظهر على شكل شكاوي جسدية، تعب من الحياة، فقدان الشهية. وقد تصل حدة هذا الاكتئاب الى أفكار انتحارية و حتى إلى محاولات انتحارية. و هذا ماأكده (Hunter، 1991) بعد تطبيقه لاختبار مينيسوتا على عينة من ضحايا زنا المحارم، إذ سجل أن 55% من الحالات تعاني من ارتفاع في مقياس الاكتئاب. و عليه، يعتبر الإكتئاب علامة لمعاناة شديدة لدى الراشدين ضحايا زنا المحارم في طفولتهم.

يستنتج مما سبق أن التعرض لزنا المحارم في الطفولة يؤثر على الدينامية النفسية في سن الرشد، و هذه الآثار تختلف باختلاف الضحايا. إلا أنه تم التوصل، من خلال تحليل الحالات لبعض النقاط المشتركة بين الحالات المتمثلة في كون كل الحالات تعرضت للاعتداء الجنسي لأول مرة في سن مبكرة حيث كانت أعمارهم تتراوح ما بين5 و7 سنوات، و في الحالات الخمس كان الأب هو المعتدي ما عدا الحالة الأولى الذي كان المعتدي الأب و الأخ.

كانت الاعتداءات مصاحبة بالعنف الجسدي عند أربع حالات من خمس ما عدا الحالة الخامسة التي كان يعاملها أبوها بلطف التي يمكن ربطها مع وفاة الزوجة. استمرت الاعتداءات لمدة طويلة خاصة بالنسبة للحالة الأولى أين دام الاعتداء 17سنة، و قد يكون هذا عاملا في تسجيل سمات ذهانية أكثر منها عصابية لدى هذه الضحية.

الخاتمة

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي يبني الطفل فيها شخصيته والتي تستند على المحيط الخارجي بدءا بالأسرة و بالأخص الوالدين. و لهذا يمكن أن يشكل الإعتداءالجنسي في هذه المرحلة النمائية صدمة عنيفة بالنسبة للطفل خاصة إذا كانت من طرف الأولياء. فهذا قد يؤدي إلى احتمال اضطراب نموه، إذ تترك آثار دائمة و متفاوتة الشدة. و لا تنتهي مضاعفات الاعتداء الجنسي العائلي بانتهاء الاعتداء، ولكن غالبا ما تمتد الآثار طوال الطفولة، المراهقة، الرشد و حتى الشيخوخة.كما يمكن لهذه الآثار أن لا تظهر إلا بعد زمن كمون أي حتى سن الرشد، فتنتاب الضحية حالات نفسية متعددة و مختلفة باختلاف التركيب النفسي و البيولوجي وحتى العلائقي لكل ضحية، فتضطرب الدينامية النفسية و العلائقية التي يعبر عنها من خلال الخوف، القلق، فقدان الثقة بالنفس و بالآخرين، الاحساس بالذنب، الانعزال، الاكتئاب، المحاولات الانتحارية و اضطراب الشخصية الحدية.

هذا كان خلاصة ما تم ملاحظته من خلال المقابلات العيادية و تحليل نتائج اختبار الشخصية المتعدد الأوجه للحالات الخمس، و من هنا تظهر أهمية الكفالة النفسية المبكرة لضحايا الاعتداء الجنسي و بالأخص زنا المحارم للتخفيف من معاناتهم النفسية.

المراجع

-Chiland. C**.** (1999)**.L'entretien clinique.** Presses universitaires de France, PUF.

-Damant, D. (1993).La dynamique traumatisante des abus sexuels et leurs conséquences à long terme. Service social, 42 (2), 51–61. Doi:10.7202/706617

-Dépelteau.F. (2011).**La démarche d'une recherche en sciences humaines : de la question de départ à la communication des résultats,** 2ème édition, De Boeck, p295

- Ewering, N., Morosini, K., Cuttelod, T. & Roman, P. (2013). **Les hommes victimes d'abus sexuels dans l'enfance : Dynamique psychique et groupe.** Criminologie, 46(1), 221–241. Doi:10.7202/1015300ar

- GAUDET, M-P. (2007). **Symptômes psychologiques chez des femmes victimes d'agressions sexuelles dans l'enfance et l'adolescence selon le lien avec l'agresseur.** Mémoire présenté comme exigence partielle du doctorat en psychologie. Université de Québec.

- Grawitz .M (1990). **Méthodes de sciences sociales,** 8éme édition, Dalloz

-Hyram.Haesevoets, Y. (1997). **L'enfant victime d'inceste : de la séduction traumatique à la violence sexuelle,** de Boeck, 1ère édition, p31

- Pelsser,R.(2000).**Manuel de psychopathologie de l'enfant et l'adolescent**, Masson, Paris, p44.

-Ratti.A. (2012).**Devenir un parent après l'inceste .Le cycle intergénérationnel de l'abus sexuel.** Mémoire de Maitrise universitaire en Psychologie .Institut de Psychologie .Faculté des Sciences Sociales et politiques .Université de Lausanne.

-Thomas,E.(2004). **Le sang des mots, les victimes, l'inceste et la loi**, édition Desclée de Brouwer, Paris (2004) p42

- Toufek, S.(2005).**Contribution à l'étude des conséquences de l'inceste et leur impact sur la victime.** Mémoire présenté pour l'obtention du diplôme de Magister en psychologie clinique, option psychologie traumatique ; Université Mentouri, Constantine

- Vincent Laupies, V& Rendu, M. (2004), **La thérapie familiale au quotidien, parcours alphabétique**, Harmattan, p95,

- www.radioalgérie.dz/news/fr/article/20170601113615html

- http;//www.algérie-focus.com<agression sexuelle.

– كوداش، ليلى (2016). **سمات الشخصية لدى أمهات الأطفال ضحايا الاعتداء الجنسي دراسة عيادية لخمسة حالات**. مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم النفس العياديتخصص علم الضحية تحت إ شراف أ. زواني نزيهة. جامعة تيزي وزو،الجزائر.

–علي تودرت سليماني، نسيمة. (2015) **تقويم وتكافؤ النسختين العربية والأمريكية لاختبارمنيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية ,دراسة عبرثقافية في البيئة الجزائرية**، أطروحةدكتوراه في علم النفس العيادي. جامعةالجزائر 2.

–لويس كامل، مليكة وآخرون .(2000). **اختبار الشخصية المتعدد الأوجه، دليل الاختبار**. ط 6، دارالنهضةالعربية : القاهرة.